



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

الرياضة كقوة ناعمة أهمية تنمية ثقافة التشجيع الرياضي في العراق

د. عماد رزيك عمر



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدة تمُّ الحقلين السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبّر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2024

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

الرياضة كقوة ناعمة

أهمية تنمية ثقافة التشجيع الرياضي في العراق

د. عماد رزيك عمر*

إن أهمية الرياضة ودورها في التفاعل بين الشعوب ليست جديدة، فقد عرفت الحضارات القديمة في بلاد ما بين النهرين، والنيل، واليونان، وعرفت شكلاً متطوراً منها وهو دورة الألعاب الأولمبية في أثينا التي انطلقت في عام 775 قبل الميلاد، وكان لهذه الرياضات سحراً على الناس، فهي توفر فرصة للتنافس وإظهار القدرات بطريقة تجعلهم يتفاعلون فيما بينهم، ومنذ ذلك الوقت، تطورت الطرق والأساليب وصولاً إلى الكرة القدم بشكلها الحالي، إذ تعد اللعبة الأكثر شعبية على الصعيد العالمي، وذلك بسبب سهولة قوانينها وجماعيتها ما جعلها تجذب لمتابعتها من مختلف الأعمار، والتي وصل أعدادهم الآن إلى المليارات حول العالم.

ومع نمو البطولات والثورة في وسائل النقل والاتصالات، كسبت هذه الرياضة زخماً حضورياً، وأصبحت فئة المشجعين لهذه الرياضة تشكل أهمية كبيرة تجاوزت الشأن الرياضي، بل أصبحت كرة القدم تتكون من عنصرين أساسيين: الأول هم اللاعبون الذين يكونون الفريق والثاني جمهور المشجعين، والذي تنوعت تنظيماته من الروابط و «الألتراس» بشكل يجعلها تتميز عن بعضها سواء في ألوان الزي أم بالرموز والأناشيد والسلوكيات، أما حينما يلعب المنتخب الوطني، فإن الموضوع يأخذ بعداً قيمياً أعمق، فالجميع تنتابه مشاعر جياشة تجاه من يمثلون البلاد، بل تتجسد الأمة في هؤلاء اللاعبين، فيكون التشجيع هنا تعبيراً عن الهوية أكثر منه بحثاً عن المتعة، وتساعدت هذه المشاعر مع ازدياد أعداد حضور المشجعين من مختلف البلدان في رقعة جغرافية معينة عندما يحتضن بلد ما الحدث الرياضي؛ مما يشكل فرصة للمجتمعات بالتعبير عن ذاتها، فيتحول المحفل إلى فعالية ثقافية، هذه الأهمية للمشجعين جعلها تدخل إلى السياسة من أوسع الأبواب، باعتبارها نوعاً من العلامة التجارية التي تستثمر صناعة الصورة الأمثل للبلد ومصدراً لجذب وترسيخ الثقافة الوطنية.

*كلية القانون والعلوم السياسية / جامعة الأنبار.

وفي العراق، تتمتع رياضة كرة القدم بشعبية جارفة ولديها قاعدة تشجيعية كبيرة، وظهر ذلك جلياً خلال تنظيم كأس الخليج العربي (25) في البصرة، والذي حقق الحضور الجماهيري الأعلى في تاريخ البطولة، كذلك الحضور المميز في بطولة كأس آسيا 2023، إلا أن قاعدة المشجعين هذه ما زالت غير منظمة و تسير الأمور بصورة عفوية من دون استثمار هذه القوة الناعمة في بناء صورة ورمزية تعمل على إظهار ثقافة وارث هذا البلد بالشكل الذي يليق بمكانته، هذه القوة لا تتعلق فقط في عدد المشجعين أو تفاعلهم، وإنما تنبع أهميته على مستويين: الأول ثقافياً والثاني اقتصادياً.

أولاً: المشجعون كقوة ثقافية:

إن أهمية كرة القدم من الناحية الثقافية تكمن في قدرتها على خلق هوية واحدة ولغة مشتركة بين الناس من خلال كسر الحواجز الثقافية واللغوية، فالمشجعون الذين يحضرون البطولات يجمعهم شغف مشترك وهو حب كرة القدم، فتصبح هي اللغة التي يجمعهم، في حين تصبح الجنسيات والقوميات والألوان شيئاً ثانوياً، تكون المحافل الدولية عبارة عن منصة للتبادل الثقافي يتم من خلالها التعرف على العادات والتقاليد؛ مما يخلق الشعور الواحد والاحترام المتبادل، تلعب هنا ثقافة الجمهور الرياضي دوراً مهماً، فهي جزء من ثقافة المجتمع، والتي تكون معبرة عن ثقافة البلد، وتسهم في خلق حالة من الجذب والتسويق للثقافات الأخرى، فالمحافل الرياضية لم تعد تقتصر على المتابعة الفنية للعبة بقدر ما توفر فضاءات سياحية لاكتساب فهم عميق حول عادات وتقاليد الشعوب، وكلما كان التعبير عن المشاعر من المشجعين محترفاً، كلما كان التأثير الثقافي أقوى، ويعلق في أذهان الآخرين، هذا التأثير يحصل بطرق وأنواع عديدة بحسب تنوع المجتمعات، ولكن يمكن حصره بطريقتين أساسيتين:

1. يتمثل من خلال سلوكيات المشجعين، حيث تعكس الممارسات والهتافات وطريقة التفاعل مع بقية المشجعين تعكس القيم التي يحملها شعب من الشعوب، خصوصاً التركيز الإعلامي سيكون كبيراً في مثل هذه اللحظات، حيث تنقل الآلاف من الشاشات الصورة إلى مختلف بقاع العالم. وبالتالي، تسهم في تقديم صورة المجتمع، لم تفارقنا الصورة خلال إحدائيات العالم في قطر 2022 عندما قام المشجعون اليابانيون بتنظيف مدرجات الملعب، على الرغم من أن المباراة ليست لبلادهم، قد سلطت وسائل الإعلام الضوء على هذا العمل، ونقلته إلى

مختلف الشعوب كسلوك حضاري، وأصبح هذا السلوك يسمى عند تكراره من قبل الجماهير الأخرى بـ«الطريقة اليابانية»، هذا يعطي مثلاً واضحاً للقوة الناعمة التي من الممكن تحقيقها عبر المشجعين، فبالرغم من خسارة اليابان في منافسات كأس العالم، إلا أنها استطاعت كسب صورة إيجابية واكتساب تسمية لسلوك من خلال شكل من أشكال الدبلوماسية.

2. يتمثل في بناء الصور والرموز، ففي البطولات عادة ما يكون حازر اللغة حاضراً في مثل هذه التجمعات، فيستعاض عنه من قبل الجماهير بابتكار أساليب وطرق جديدة في التعبير سواء في إيقاع الهتافات أو الحركات والرقصات للإشارة إلى هويتهم الخاصة. لذلك، تجتهد فرق المشجعين في كل دورة لابتكار ما يميزها عن الفرق التشجيعية الأخرى.

لهذا تزرخ ذاكرة كأس العالم بالكثير من الصور والرموز التي تشير إلى منتخبات معينة، فمثلاً، يرسم المشجعون الإنكليز على وجوههم ألوان علم بلادهم مع اللباس التاريخي، بينما تعتمد المكسيك على مشهورة الأمواج المكسيكية المشهورة، وتتميز البرازيل برقصة السامبا، ولا ننسى فوفوزيلا جنوب أفريقيا والبطول القادمة من القارة الأفريقية، ولا يقتصر الأمر على الصور والرموز، بل هناك شخصيات من المشجعين من خلال سلوكياتهم وتفاعلهم الرياضي، تحولت إلى أيقونات عالمية منهم «أكوستا فيرنانديز» المشجع البرازيلي البارز، والذي اشتهر بصورته وهو يحتضن نسخة مقلدة من كأس العالم.

وهناك طرق أخرى يقوم بها المشجعون، مثل توزيع أعلام بلادهم وملصقات فريقهم للمشجعين الحاضرين في الملعب. قد قام المشجعون اليابانيون بتوزيع عصابات الرأس مرسوم عليها العلم الياباني، الأمر الذي ترك انطباعاً قوياً لدى المتفرجين الحاضرين الذين لم يقرروا بعد تشجيع أي الفريقين، الأمر الذي دفعهم لدعم منتخب اليابان، هذه الصور والرموز، سواء المتعلقة باللعبة أم في الطقوس والطعام والأناشيد، تعكس العلامة التجارية الفريدة للتراث الثقافي لكل دولة، وتشكل محكاً ثقافياً مع المجتمعات الأخرى، وتعمل كقوة جذب للجماهير الأخرى التي تحضر للمباريات من دون أن تكون لها منتخبات، بل جاءت لأجل المتعة.

من خلال ما تقدم، نجد أن المساحة التي يشغلها التشجيع الرياضي في كرة القدم لا تقل أهمية عن تأهيل المنتخبات الوطنية للمنافسة، ذلك من أجل رسم الصورة والانطباع الإيجابي عن

بلداتهم، فتقوم الدول من خلال اتحادات اللعبة بالمشاركة في تنظيم رابطة المشجعين وتمويلها، وتنظيم اجتماعاتها، وعمل التمارين على التشجيع، ومتابعة أداؤها وسلوكياتها، ومعاينة من يسيء خلال المباريات.

في العراق، بالرغم من تطور التشجيع في السنوات الأخيرة، إلا أنه لم يشهد تطوراً أو خلق هوية خاصة به، بل يقتصر الأمر على الأندية، والتي اعتمدت على الاستفادة من التجارب الأخرى من دون خلق هوية تشجيعية مميزة، على الرغم من أن الجماهير تتفاعل بالأهازيج والإيقاعات التي تشحذ الهمم، إلا أنها لم تنجح في إنتاج رمزيات أو تقديم شخصيات تمثل الثقافة والهوية العراقية.

ثانياً: مشجعو العراق قوة اقتصادية

إن فعاليات رياضة كرة القدم عالمياً لا تأتي من فراغ فاللاعبون والنوادي والمحافل والبطولات تحتاج إلى استثمارات ضخمة تمول من قبل الاتحادات الدولية، هذه الاستثمارات تُعد مورداً مهماً في تعزيز التنمية وتوفير فرص عمل، وتعتبر أيضاً محفزاً للنمو الاقتصادي، يشكل حجم قاعدة المشجعين في العراق أهمية كبيرة في هذا الاتجاه مستقبلاً.

إن الحضور الجماهيري له أهمية باعتباره قوة جذب اقتصادي نتيجة للنجاحات التي ستحققها مديات هذا الحضور، نرى ذلك جلياً من خلال الإشادة التي حصلت في كأس خليج البصرة من قبل اللجنة المنظمة للبطولة ورئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا) (جيانى إنفانتينو)، وذلك بالرغم من المستوى الفني المتوسط لأغلب المنتخبات المشاركة، وكذلك الزخم الجماهيري في كأس آسيا التي أقيمت في قطر 2023، أعطى تفاعل المشجعين العراقيين زخماً تنافسياً للبطولة، يُمثل هذا الشغف الجماهيري أرضاً خصبة لجذب الاستثمارات في القطاع الرياضي، وسيعمل على زيادة التعاون بين العراق والفيفا للعمل على تطوير الكرة العراقية ما دام الأمر يتعلق بدمومة الزخم الجماهيري الذي يمثل قاعدة كبيرة من الاستهلاك، ولا تقتصر أهمية المشجعين العراقيين من الناحية الاقتصادية على الحضور في مدرجات الملعب وأسعار التذاكر وتحريك اقتصاد اللعبة، بل وصل تأثيره الاقتصادي إلى وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية التي تعتمد في نشاطها على التفاعل الجماهيري، الذي يحتل العراقيون فيه مراتب متقدمة في مقدار التفاعل، قد سجل الموقع الرسمي على الإنستغرام للجنة المنظمة لكأس آسيا تفاعلاً كبيراً من الجمهور العراقي، فقد شهدت

الصور والمقاطع التي تخص منتخب العراق أعلى عدد من الإعجاب، وفي هذا الاتجاه ليس من قبل الصدفة أن نجد القنوات الرياضية وأصحاب الصفحات من المهتمين بالشأن الرياضي تفرد مساحة كبيرة للحديث عن المنتخب العراقي؛ لأن المشجعين يتفاعلون معها، ويقومون بدور مهم في عملية السرد الثقافي، في حين تجد هذه القنوات موردها الأساسي في تفاعل المشاهدين، فالموضوع أولاً وأخيراً ليس تقديم متعة فقط، بل يتجاوز ذلك إلى تحقيق المنفعة الاقتصادية.

دور المؤسسات في تشكيل ثقافة التشجيع

إن عملية تنظيم وتوجيه المشجعين لم تعد عملاً يتسم بالعفوية، بل أصبحت المؤسسات تهتم به بعناية كبيرة كجزء من واجبها الوطني، والتشجيع الرياضي في العراق يشهد في الفترة الحالية زخماً جماهيرياً، ولكن يتم بشكل عفوي، ومن دون تنظيم، قد سُجلت خلال فعاليات كأس آسيا في قطر 2023 عدة حالات، منها جرى على إثرها استدعاء لأفراد من المشجعين من قبل الشرطة، ذلك لتسببهم بإزعاج المواطنين، كما ظهرت على الشاشات الرياضية سلوكيات في التعامل مع المشجعين من البلدان الأخرى تقلل من قيمة منتخباتهم، وهذا لا يُعطي الصورة المثالية للهوية، فالتشجيع الرياضي عبارة عن فن ومهارة وأخلاق لا ينفصل بشكل عام عن الأخلاقيات الاجتماعية، وإن ارتبطت بحدث ترفيهي، لكن تبقى معبرة عن روح المجتمع، لهذا تقع على كاهل المؤسسات الرياضية تحويل الكتلة الجماهيرية إلى قوة ناعمة تسهم في تقديم الثقافة العراقية، وتعمل كمصدر جذب من خلال تبني اتجاهين:

● المؤسسي: من خلال العمل على تدريب رؤساء مشجعي الروابط في التعامل مع الحالات المختلفة للفوز والخسارة وتحولات في المزاج العام للمشجعين والاستفزات من قبل الجماهير المقابلة، وتوفير التمويل الكافي وتهيئة المستلزمات لتطوير رابطة مشجعي المنتخب العراقي، كذلك التعاون مع القنوات الإعلامية من أجل تأهيل العاملين فيها للقيام بنشر الوعي بالثقافة التشجيعية توجيه القنوات التلفزيونية على المساهمة في نشر الروح الرياضية والابتعاد عن مواقف التعصب، وتقوم المؤسسات الرياضية أيضاً بالعمل على تشجيع التعاون بين الروابط التشجيعية للأندية الرياضية من أجل توفير الزخم اللازم للمنتخب الوطني والابتعاد عن التقاطع فيما بينهم.

● الثقافي: يتمثل في العمل على اختيار الشخصيات التي تظهر في الإعلام، والتي يمكنها

عكس صورة مشرقة، وتمتلك الروح الرياضية المرحة التي تترك انطباعاً إيجابياً لدى الجمهور المقابل، وكذلك التعاون مع الشعراء والفنانين في الاختيار الرموز والأهزيج ذات الإيقاعات العراقية الفلكلورية التي تعبر عن طابع وحضارة البلد، واعتماد بعض الفعاليات التي تميز هوية التشجيع عن الهويات الأخرى، هذه الإجراءات ستعمل على تشكيل هوية للمشجع العراقي ومع التطور سيخلق تأثيراً إيجابياً يسهم في خلق علامة ورمزية يمكن للمؤسسات استثمارها في دعم مكانة وصورة العراق بشكل تكاملي مع نجاحات المنتخب الوطني.